

## الخريف

### قصة مصرية بقلم الأستاذ سيد قطب

”القصة أوسع مجال لمعالجة المسائل الاجتماعية وبخاصة من وجهتها النفسية . وهذه القصة تعالج مشكلة نفسية اجتماعية خاصة ، وأمل هذه المشكلة مرت بعوس الكثيرين من الشباب بعد أن دلفوا إلى الكهولة ، محررين من هدوء العش وأنس الأليف .

ولعل الكثيرين من الشباب الذين لا تزال مطامع الشباب وأحلام الخيال تغريهم بالوحدة ونفريتهم من انفراد أو ما يسمونه بالقيود ، نلهم يرون في هذه النصة صورة من المصير الذي ينتظر الحارين الآقين

وهذه القصة م تكتب من أجل هذا الغرض ، وم يرم صاحبها إلى « منزى » خاص أكثر من تصوير حالة نفسية ، ثم صادف أنها تس مشكلة اجتماعية“  
المحرر

حينما عاد إلى مسكنه المنعزل حوالى منتصف الليل ، كان صوت سمير ، الطفل الصغير ، لا يزال يرن في أذنه : ” بابا عبده . مروح ليه ؟ “.

وتناقلت خطاه وهو يقطع ممر الحديقة الصغيرة ، ويصعد الدرج إلى باب المسكن في شبه ذهول ، ومع أنه يعيش في هذه الدار منذ عشرة أعوام ، ويسكن إلى عزلتها ويستأنس بها ، إلا أنه أحس في هذه الليلة بوحشة لا عهد له بها . وكأنما يأوى إلى كهف مهجور أو جب مسحور .

وكانت الأوراق الجافة تتساقط من حوله ، فتجربها الرياح ، وكأنما هي تصفق منذرة بالرحيل ..

إنه الخريف ....

وحينما أدار المفتاح تمنى أن يفتح الباب فيجد ” زوبه “ الأرملة المعجوز التي تقوم له بشؤون النهار ، ثم تأوى إلى دارها وأبنائها بالليل ... تمنى أن يجدها في هذه الليلة ، وهو يعلم أن تلك الأمنية أمر مستحيل ... بل تمنى أن تكون قد تركت إحدى النوافذ مفتوحة فقفزت منها قطة اجيران التي كانت تفاد إليه في بعض الليالي فيؤذيه مواؤها وعيها بأدوات المطبخ ، ويقطع عليه سلسلة تفكيره في هدوئه المحبوب .

وأحس بخيبة أمل وهو ينير مصباح الزددة فلا يجد إلا نفسه ، كأنما صحا من سكرة عميقة ، فاذا السامر منقص من حوله ، وإذا هو مفرد في هذا الوجود .

وكانت خطواته كلما آوى إلى منزله أو معبده - كما كان يحلوه أن يدعو - تقوده إلى حجرة المكتبة ، سواء أكان بالليل أم بالنهار ، فيلقى على كتبه الحبيبة - ومنها مؤلفاته نظرة تحية عاطفة ، ثم يذهب أو يبق في صومعته ، يناجى الأرواح التي تعمرها . أرواح المؤلفين التي كان يحسها مرفرفة في جو الحجرة تستقبله وتحييه . وأرواح مؤلفاته التي يدلها ويحنو عليها بروح الأب المشفق الودود .

ولكنه في هذه الليلة أخفب عادته ليرة الأولى ، لقد خيل إليه أن هذه الأرواح المرفرفة اللطيفة قد استحالت أشباحا كثيفة مخيفة ، وسرى هذا الشعور في كيانه فأحس برعدة تمشي في أوصاله ، وأسرع إلى حجرة نومه فألقى بملابسه في أرض الحجرة وألقى بنفسه في السرير دون أن يعجز على إشعال النور .

وكما يصنع الأطفال حين يخشون الأشباح راح يذفن نفسه في الفراش ويجذب الغطاء على رأسه ويسد أذنيه محاولا أن يغطي على الصوت الغامس الرهيب ، لا صوت الأشباح ولكن صوت سمير الصغير : " بابا عبده . مروح ليه ؟ " .  
وبعد فترة كأنها جيل . . . أدركته رحمة الله ، فنام .



نشأ عبد المنعم في أسرة ريفية عريقة . . . وحيثما كانت نفسه تنضج بالشباب وتفتح للنور كان القدر يطمس على مجد الأسرة ويعيث بخلفاتها حتى الحطام . وهو ما زال تلميذا في أولى خطوات التعليم .

ولم يشأ الفتى الصغير أن يخضع للمصير المنظور ، فكأخ مستعزا بالمجد القديم ، مستعينا بعزيمة صادقة وآمال عريضة . حاهد حتى أتم دراسته العالية ، وحتى وصل بأخيه الصغير إلى مرحلة التعليم النهائية ، وحتى أتند بقايا الأسرة من المصير الخفيف .

والأقدار التي حرمتها مامتعت به ، سلافه من نعم . عوضته من هذا المتاع موهبة أدبية قام على أساسها جهاده ، ودرحت فيها خطواته . وكان يلمح وراء كل خطوة برقا لامعا من كوكب بعيد . . . يترامى هنالك وراء الأفق . إنه يدعو ويبارك خطواته ، وينيره الطريق .  
وحيثما أتم رسالته لماضييه وأدى واجبه لأسرته ، شعر بالراحة وأحس الاغتناب وتملكته نشوة النصر . . . النصر الحاسم على الزمن والحوادث والآلام والخصوم .

وكان يريق المجد يترامى له ويدعو . . . هنالك خلف الأفق البعيد ، فلم يستطع مقاومة النداء المغري واجتذبه الأضواء فسار على الدرب يهتف للنور ، ويصفق للأمل ، وتفمره النشوة بجهس أنه قوى . قوى ملء أوصاله ولا حاجة به إلى رفيق أو معين .

وفي الحين بعد الحين كان يزور أخاه الذي يسكن في نفس الضاحية ، والذي لم يعد راهبا في معبد بل رفيقا في عش !

وكان عبد المنعم يعد شقيقه الصغير امتدادا له ، ونبته من غرس يده ، فكان يستروح للقياه في عشه الجميل ، ويأوى إليه وإلى زوجه الصغيرة الرشيقه كلما أحس بشيء من التعب بعد مجهود شاق ومرحلة طويلة في طريق المجد المحبوب ، ثم يعاود التصعيد والتصويب . ولكن منذ أن جاء سمير إلى هذا العالم تلاحقت زيارته حتى كادت تصبح يومية وهو يرقب نموه بشعور غامض غريب . وفي كل مرة كان يحمل إلى الطفل ما يدخل السرور إلى نفسه الصغيرة البريئة ، وكان سمير يدعوها كما لقتته أمه : " بابا عبده... " ويهتف باسمه هذا كلما رآه مقبلا من بعيد ، وفي يده الحلوى تارة واللعب تارة ...

ط  
ع

أخذت خطوات عبد المنعم في طريق المجد والشهرة تتراخى رويدا رويدا ، وهو في أول الأمر لا يحس تراخيها ، وأخذت تتنابه فقرات قصيرة ، ثم متطاولة من الممود والسهوم . وبدأ سؤال هامس يهجس في أعماق نفسه ولا يكاد يتبينه أو يترجمه إلى لغة الألفاظ الصريحة ، سؤال يتردد بين الحين والحين : ثم ماذا ؟ وما جدوى هذا الجهد وما غناؤه في النهاية ؟ . . . ولكن سرعان ما كان هذا الهمس يختفي في زحمة الشهرة وضجيج الصيت . وفي ليلة الأمس كان في منزل شقيقه يحضر العيد الخامس لميلاد سمير ، وقد ألبسته أمه حلة جديدة ، ونسقت الدار لاستقبال صديقاتها وأزواجهن وأطفالهن ، وتلاأت الأنوار والأزهار ، واستخفها النشاط والمرح ، فكانت كالفراشة الجميلة تسمير وكأنها تقفز وتحدث والضحكات المرححة تطل من ثنايا الحديث . . . أما سمير ورفاقه الصغار فكانوا في نشوة نشيطة يجرون ويقفزون ، ويحتمون ويتفرون . . . كما تجمع الأزهار في الطاقة ثم تفرقها ، لتجمعها في نظام جديد .

وبينما كانت هذه المناظر تراءى أمينية كأن ذهنه شاردا . كان يستجمع خواطر غامضة رهيبه ، وحينما انتهت الحفلة وهم بالخروج حمل سميرا بين يديه في تأثر عنيف ، وقبله بحمارة . وهنا فاجأته دمعة لم يتبها لاستقبالها ، فأسرع ينزله من بين يديه ويستأذن في الخروج ، بينما سمير يناديه : " بابا عبده . مروح ليه " أجل مروح لإيه ؟ ماذا هنالك ياوى إليه ؟

ترى يقصد الطفل هذا الذي يدور في خاطره الآن ، ويعنى ما يقول ؟ !

وفي الطريق هجمت عليه فكرة واضحة جدا في هذه المرة ... إنه الآن في القمة ، ولكن أمجاد الأرض كلها لا تساوى هذه الزهرة الحلوة ، وهناقات الجماهير جميعا لا تساوى هذه اللثغة المحبوبة !

تنفس الصبح ونفذت أشعة الشمس إلى حجرة عبد المنعم ففتح عينيه وجال ببصره في الحجرة كالذي يصحو من حلم غريب... ووقع نظره على ملابسه المبعثرة فتذكر وقته ضاحكا ، ونهض نسيطا ، وهو يستعيد خيالات الأمس العجيبة .  
 واستخفه صرح مفاجئ فأخذ يفتي وهو ذاهب إلى الحمام ، وكأنه يرقص أو يقفز في خطواته . ترى كانت صحوة المصباح أو رقصة المذهول ؟  
 وحينما وقف أمام المرآة يمشط شعره ، وجم بغتة كالذي يجفل من مشهد غريب... ،  
 لقد راعته الشعرات البيض ، فقد وخط رأسه المشيب .  
 إنه في الخامسة والأربعين !

..

وحينما أتم هندامه ونحرج من الدار ، لم يفته أن يرمى شيش النافذة المقابلة في الطريق .  
 لقد لبثت تلك الفتاة الفقيرة الشوهاء تنتظره وراء الشيش وتحركه حركات مقصودة كلما نرح في الصباح طوال هذه الأعوام ، فلم يقابل هذه الحركة بغير الابتسامة المشفقة في بعض الأحيان ، والإهمال التام في معظم الأحيان .  
 أما اليوم : فليتها تكون هناك وراء الشيش . . . إنه يتطلع إليه — أول مرة —  
 باهتمام شديد ؟

سيد قطب

حلوان

## مجلة الشؤون الاجتماعية

### تختتم عامها الثاني

هذا المدد تختتم المجلة عامها الثاني ، وهي مطمئنة الضمير إلى أنها جاهدت مخلصا للقيام بمهمتها ، وأداء رسالتها في محاولة الإصلاح الاجتماعي .  
 وهي بهذه المناسبة تشكر لحضرات من ساهموا في تحريرها ، فأعانوها على أداء واجبها .  
 وترجو أن تجد في أعوامها القادمة ما لقيه من إقبال ومعونة وتشجيع

المحرر